محو الاميّة وتطوّر المجتمع الريفي

الدكتور سعدون الساموك
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

خلاصة البحث

الاميّة تتسبب في انتشار الجهل وتركيز عادات بدائية لا يستسيغها العقل في المرحلة الحالية • وتقف هذه العادات عقبة في طريق التقدم والتنمية الاجتماعية والاقتصادية •

وينعكس الجهل في ريفنا العراقي بشكل أكبر منه في المدينة •• اذ أن المدينة رغم وجود الكثير من العادات المماثلة لعادات الريف ، الاّ ان الظروف قد خدمت أبناءها أكثر من أبناء الريف ، فلا زالت العشائرية هي مقود أبناء القرى والارياف ، ولا زالت المرأة الريفية تختفي وراء ظل الرجل رغم انتاجيتها التي تفوق في كثير من الأحيان انتاجية الرجل • فالرجل هو صاحب السطوة والقوة بينما تلعب المرأة دوراً ضعيفاً في بنية العائلة الريفية •

ونجد أن التنمية والتقدم وجدا طريقيهما عند انسان المدينة أكثر من ابن القرية أو الريف ، وتسببت ظروف الوعي في المدينة في خلق حاجز قوي بين ابنها وبين ابن الريف ، لذا أصبح لزاماً علينا اجتثاث جذور المشكلة ، مبتدئين بمحو الامية ، عامل الجهل الأول ، ونشر الوعي والمعرفة بين الجميع من جهة والتركيز على ابن القرية والريف نظراً لأهميته في التنمية الاقتصادية والاجتماعية •

لا شك في ان محو الأمية واحلال الوعي في المجتمع المدني له دور عظيم في تطور أي بلد من البلدان •• الاّ ان ذلك التطور يتضخم في المجتمعات الريفية ويعكس مردودات ومؤشرات عميقة في تطوير التنمية ، وذلك لأهمية الريف الزراعية والاقتصادية على كل بلد من البلدان •

والمجتمع الريفي العراقي يعد من المجتمعات المتخلفة ، وذلك لأسباب عديدة منها :

١ً ـ بعده عن مركز الاحداث والتطورات السياسية والثقافية ، والتي تنحصر بشكل ما في المدن الكبرى .

٢ً ـ بسبب تقصد سياسيي البلد سواء قبل أو بعد العشرينات على تكييف صورة الريف العراقي بالشكل الذي تعهده[١] .

٣ً ـ عدم مساهمة الحكومات العراقية التي تعاقبت على حكم العراق قبل عام ١٩٦٨ مساهمة جادة في ازالة أسباب التخلف تلك أو في حل مشاكلها .

ويبرز تخلف المجتمع الريفي العراقي بصور يمكن استعراضها بشكل واضح ، منها :

١ً ـ استمرارية النظام العشائري ورباط الدم (راجع البنى الاجتماعية ص ٣٢٠)[٢] الذي يمثل صورة من الأنظمة القديمة التي اجتازتها معظم البلدان منذ فترات زمنية بعيدة .

٢ً ـ استمرارية نظام العائلة الممتدة والتي تحصر السلطة العائلية بصورة مركزية بالأب .

٣ً ـ الغاء دور المرأة من الدور القيادي في التوجيه الاقتصادي والاجتماعي[٣] رغم كونها أداة للعمل في الريف تفوق انتاجيتها انتاجية الرجل بصورة أكثر من مضاعفة[٤] .

٤ً ـ اعتماد الوسائل اليدوية والبدائية في الانتاج .

٥ً ـ ممارسة أبناء الريف لعادات لم تعد مقبولة مدنياً كالثأر والزيجات المتعددة[٥] أو الزواج التبادلي[٦] أو زواج الفصل[٧] والتي أدت بدورها أيضاً الى تعميق سلطة الرجل وتدهور مركز المرأة[٨] .

ولقد لعب الجهل والأمية دوراً بارزاً في مساعدة المستعمرين على تحقيق طموحاتهم في تأطير المجتمع الريفي بأطر التخلف هذه ومن ثم عزل أبنائه عن المساهمة الجادة في التنمية ، تسهيلا للسيطرة عليهم من جانب وتركيزاً على تخلف الطائفة الكبرى من أبناء بلدنا من الجانب الآخر(*) .

لذا فأن نشر الوعي ومحو الأمية في الريف سيعكس مؤشرات لها مردودها ، وسيساهم بكثير من الامور منها :

١ً - في تطوير مركز الفرد في المجتمع ودوره القيادي ، أي بتحديد دور الأب التقليدي حيث (تمثل العائلة في الريف العراقي أصغر وحدة اجتماعية ، وهي تتألف من الزوج وزوجته أو زوجاته والأولاد ، وزواج الابن يضيف له دوراً جديداً اضافة الى دوره كأبن ، اذ هو يحافظ على عضويته ودوره المحدد له في عائلة أبيه - السلطة المركزية . اضافة لدوره الجديد في عائلته بعد زواجه . « راجع المرأة العراقية ص ٣١٧ ») .

٢ً - يساهم في تركيز التطورات الاقتصادية والقانونية وتعميق صلتها بأفراد المجتمع الريفي (انظر المرأة العراقية ص ٣١٨ وما بعدها) .

(*) لقد وجدت في دراسة الدكتورة فوزية العطيّة ، الاستاذة المساعدة بقسم الاجتماع بكلية الآداب ، للريف العراقي والموسوم بـ (المرأة العراقية الريفية ودورها في عملية التنمية - مجلة كلية الآداب ، العدد الحادي والعشرون ، المجلد الثاني ، ١٩٧٦ - ١٩٧٧) عمقاً في تحليل المجتمع العراقي الريفي وعلميّة في طرح أسباب التخلف وطرق التخلص منها وساعد على اكتساب البحث لعلميته الجادة خبرات شخصية تحلت بها الباحثة الفاضلة . ورغم ان الدراسة تلك ركزت على دور المرأة الا انها تساعد في فهم جوانب كثيرة من مشاكل الريف العراقي وتساعد في استعراض أهم الجوانب التي ستساهم عملية محو الاميّة فيها في التطوير والتنمية .

٣ً ـ المساعدة على مقاومة العادات والتقاليد الموروثة (وخاصة السلبية منهـا والتي تعيق تطور الفرد ودوره في المجتمع) (انظر ص ٣١٩) ، ومن تلك العادات مثلا : الزواج التبادلي ـ الگصة بگصة ـ (انظر ص ٣٢١) والذي من مساوئه ترتب المعاملة بالمثل على الطرفين • أو زواج (الفصل) ، أو تعداد الزواج ، حيث ان ظروف المجتمع لم تعد تسمح لذلك التعـدد بالصورة المعروفة • وترى الدكتورة العطيّة هنا سبباً وجيهاً لهذا التعدد اضافة الى هدف استغلال الرجل للمرأة فيه بتوجيهها للعمـل ، بأنـه مساهمة في سد أوقات الفراغ الطويلة ، خصوصاً وان الوسائل الترفيهية غير متوفرة في الريف ، أي ان سوء الأوضاع الاجتماعية وعدم الانعاش الريفي وانعدام الوسائل الترفيهية ساهم في تدهور وضع المرأة الريفية •

٤ً ـ وسيساهم الوعي في اجتثاث الحواجز بين أبناء الريف والمدينة ويساعد الريفيين على التطلع الى الأحداث المستجدة سواء في عالم السياسة أو غيره والمشاركة فيه بشكل ايجابي •

٥ً ـ والوعي الذي سيقضي على الأمية والجهل سيساعد تدريجياً في تقبـل التغيرات الضرورية في الريف والتي ستنعكس بدورها على المجتمع الكلي للبلـد •

٦ً ـ ومحو الأميّة يساعد طبعاً على رفع مستوى المرأة في المجتمع الريفي ويجعل دورها (الذي شغلته دائماً) في محل بارز مقدّر دون تجاهله كما هـو حاصل الآن في ظل الأعراف الريفية (انظر ص ٣٢٤) •

٧ً ـ ومحو الأميّة معناه احلال المعرفة • فهو اذن كفيل بالمساعدة على تغيـير المعتقدات السلبية القائمة لتحل محلها معتقدات جديدة تساهم بصـورة ايجابية في تحسين مركز الانسان الريفي وبالأخص المرأة لتستطيع المشاركة بشكل فعّال في عملية التنمية •

٨ً ـ وقد يساهم محو الأميّة في تغيير النظرة الموضوعية لزواج الاناث حيث يتم زواجهن في المجتمع الريفي المتخلف بصورة مبكرة جداً لا تساعد كثيراً على رفع مستوى أفراد الجيل الجديد الذي تنتجه تلك المـــرأة الصغيرة • (راجع المرأة العراقية ص ٣١٩) •

٩ً ـ محو الأميّة واحلال المعرفة يساعد بصورة ايجابية على اعطاء أهميـــة (اجتماعيـة) للمـرأة • حيث من السائد ان الأهمية تعطى في المجتمـع الريفي المتخلف للزوج دون الزوجة ـ حيث الزوجـة تخضع لسلطة زوجها وسلطة أبيه ، رب العائلة ـ (انظر الفقرة ٦ ، راجع المرأة العراقية ص ٣١٨ ، ٣٢٣) •

١٠ً ـ ان محو الأمية واحلال المعرفة يساعدان على ابراز مقوّمات اقامة العلاقات والروابط السليمة التي يمكن أن تربي الفرد وترعاه بالاسلوب الصحيح والتي تقوم على عدم التمييز بين الرجل والمرأة •

١١ً ـ ويساعد في رفض التنشئة الاجتماعية السائدة في الريف ، ويوقفان الجهل وما يسوده من أحكام مسبقة وأفكار منمطة ساعدت على بلورة العـادات والتقاليد التي أدت الى تقبل سكان الريف من الجنسين لوضـع المـرأة الريفية (انظر الهامش رقم ٨) •

١٢ً ـ يساعد محو الامية على تحرير المرأة ولو نسبياً من سيطرة الأب أو الأخ وخاصة فيما يتعلق بالزواج وجعلها عضواً اجتماعياً مستقلا الى حـد ما ضمن وجودها في العائلة وهو ما سيساعد على توسيع النظرة الى الزواج وذلك بجعله يتم بناء على رغبة الزوجين وعدم اعتباره من مهمة عائلـة الزوجين كليّةً بناء على مقتضيات مصلحة تلك العائلتين مما يجعل الزواج شبه صفقة تجارية تباع بموجبها المرأة وتشترى[٩] •

١٣ً ـ وأخيراً فأن الوعي ومحو الأميّة يساعدان على توعية الفلاح لـــدوره

القيادي في المجتمع وذلك بتوسيع حدود مواسم عمله الانـــتاجي وان يرتفع دوره الى مدى أبعد من ذلك بمساعدته أيضاً في دراسات ميدانية كما ترى الدكتورة العطيّة (انظر ص ٣٢٤) بتهيئة الوسائل والامكانيات الكفيلة بمساعدته في التغلب على الكسل والخمـول في المواســم غـير الانتاجيـة .

وحيث تبلغ نسة العاملات في الريف العراقي حوالي نصف مجمـــوع السكان الريفي[١٠] فأن المرأة الريفية تستطيع (جنباً الى جنب مع الرجـل) المساهمة الايجابيـة الفعّالة في التنمية الاقتصـادية والاجتماعية بعـد أن تتهيـأ لكليهما الظروف الملائمة كما ترى الدكتورة فوزية العطيّة وذلك عن طريق تكثيف الجهود لمحو الأميّة ونشر الوعي واستبدال القيم باخرى تنسجم والمرحلة الحالية التي يمر بها المجتمع . (انظر المرأة العراقية ص ٣٢٦) .

الهوامش :

(١) « .... ان تغلغل النفوذ الاسـتعماري في العراق ورغبته في السـيطرة الاقتصادية والتغلغل في المجتمع العراقي ، خصوصاً بعد ثورة ٣٠ حزيران ١٩٢٠ ، أدى الى تمليك الأراضي الزراعية لرؤساء العشائر بعد أن كانت ملكاً مشتركاً للعشيرة وبذلك أنشيء نظام اقتصادي ـ اجتماعي شـبه اقطاعي أسند بتشريعات قانونية خاصة ، مثل قانون دعاوى العشائر ، فأثرت الملكية بهذا الشكل الجـديد على كافـة العـلاقات الاجتماعيـة في الريف » (المرأة العراقية ص ٣٢٠ . وانظر كذلك البنى الاجتماعيـــة ص ٣٢٢) .

(٢) المرأة العراقية ص ٣١٨ .

(٣) نفس المصدر ص ٣٢٤ .

(٤) ن.م. ص ٣٢١ .

(٥) ن.م. ص ٣٢٣ ، علماً بأن هذه الزيجات موجودة الى حد ما في المـدن العراقية الى اليوم مؤيدة بذلك آراء الدكتور علي الوردي بكتابه ـ دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ص ٣ وما بعدها والتي يعيد فيها عادات معظم قطاعات الشعب العراقي الى عادات بدوية موروثة .

(٦) المرأة العراقية ص ٣٢١ ·

(٧) نفس المصدر ص ٣٢٢ ·

(٨) ان عملية التنشئة الاجتماعية في الريف وانتشار الجهل والامية وما يسوده من أحكام مسبقة وأفكار منمطة ساعدا في بلورة العادات والتقاليد التي أدت الى تقبل سكان الريف ، من كلا الجنسين لوضع المرأة الريفية » · (راجع المرأة العراقية ص ٣٢٠) ·

(٩) المرأة العراقية ص ٣٢١ وانظر :
Larguia Isabel and John Dumoulin, p.p. 5. 6.
والذي تذكره الدكتورة العطيّة في الصفحة ٣٢٧ وما بعدها ·

(١٠) سلوى الجلبي ، دراسة تقدم المرأة العراقية ص ١٤ وما بعدها ·

مصادر البحث :

١ ـ الدكتورة فوزية العطيّة ، المرأة العراقية الريفية ودورها في عملية التنمية ، مجلة كلية الآداب ، العدد ٢١ المجلد ٢ ، ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ (ص ٣١٧ ـ ٣٢٨) ·

٢ ـ الدكتورة فوزية العطيّة ، البنى الاجتماعية والعلاقات الانتاجية في الوطن العربي ، مجلة كلية الآداب ، العدد ٢٠ ، ١٩٧٦ (ص ٣١٩ـ٣٣٤) ·

٣ ـ الدكتور علي الوردي ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، بغداد ١٩٦٥ ·

٤ ـ سلوى الجلبي ، دراسة تقدم المرأة العراقية واندماجها في عملية التنمية · المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية · بغداد ، كانون الثاني ١٩٧٥ ·

٥ ـ
Larguia Isabel and John Dumoulin, Toward a Science of Women's Liberation, 1972.

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٩٧ لسنة ١٩٧٩